

|                                 |                                  |                                                                                                       |
|---------------------------------|----------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| العدد الحادي عشر<br>Issue 11    | السادسة السنة<br>Sixth Year      | تشرين الأول 2026<br>October 2026                                                                      |
| P-ISSN: 2707-6245<br>Print ISSN | E-ISSN: 2957-9996<br>Online ISSN | DOI:<br><a href="https://doi.org/10.57026/mjhr.v2i11.147">https://doi.org/10.57026/mjhr.v2i11.147</a> |

## معالم كمال إيمان أصحاب الكهف في القرآن الكريم

### The perfect Faith of The Sleepers in the Holy Quran

أ. م. د. لمياء مهدي سعيد الشمري  
Dr. Lamia Mahdi Said Al Shamarti

كلية القانون – جامعة الكوفة – العراق

College of Law – University of Kufa – Iraq

[limiya.M.alshamari@yahoo.com](mailto:limiya.M.alshamari@yahoo.com)

#### الملخص

يعرض البحث الإيمان وتجلياته في قصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم، انطلاقاً من خصوصية القصص القرآني في بناء التصور العقدي وترسيخ القيم الإيمانية من خلال عرض النماذج الإنسانية ومواقفها في سياقات الابتلاء والصراع بين الإيمان والكفر. وتكتسب قصة أصحاب الكهف أهميتها من كونها تقدم نموذجاً لجماعة مؤمنة واجهت بيئة عقدية مضادة، فتمسكت بالتوحيد ونبتت الشرك، وانتقلت من الاعتقاد إلى الموقف العملي الذي يعبر عن حقيقة إيمانها.

ويهدف البحث إلى تحليل مفهوم الإيمان ومراتبه ومظاهره في ضوء قصة أصحاب الكهف، والكشف عن أبرز المعالم العقدية والسلوكية التي تضمنتها القصة، ولا سيما التوحيد ونبت الشرك، والمؤاخاة في الله، والثقة بنصره، والثبات على العقيدة، واتخاذ الموقف الملائم لصيانة الإيمان. كما يسعى إلى بيان الأبعاد الأسوية في شخصية أصحاب الكهف، ومدى صلاحية النموذج القرآني في بناء الوعي الإيماني القائم على التكامل بين الاعتقاد والموقف والعمل.

#### Abstract

This study examines faith and its manifestations in the story of the People of the Cave in the Holy Qur'an, drawing on the distinctive nature of Qur'anic narratives in shaping doctrinal understanding and reinforcing the values of faith through the portrayal of human characters and their responses in contexts of trial and the conflict between faith and disbelief. The story of the People of the Cave derives its significance from the fact that it presents a model of a believing community that faced an environment hostile to their faith; they adhered to monotheism and rejected polytheism, and moved from belief to practical action that expressed the reality of their faith.

الكلمات المفتاحية: الكمال، اهل الكهف، الإيمان، العقيدة، القيم

**Keywords:** Perfection, the People of the Cave, faith, doctrine, values

## المقدمة

ان القرآن الكريم اعتمد أساليب وعظمية بلاغية عدة بغية إيصال رسالته ومعارفه إلى الناس، فإلى جانب أسلوب التربية والتوجيه والارشاد عبر الحوار والمثل، كانت هناك القصة التي أولاهها عناية فائقة لما فيها من عنصر التشويق ومتابعة الأحداث، فضلاً عن غرضها الاساس في تحقيق العظة والاعتبار.

وعلى هذا الاساس جاءت قصص الأنبياء عليهم السلام الذين حملوا مشعل الهداية إلى أقوامهم ورفعوا لواء التوحيد بصفتهم أسوة حسنة ينبغي للمؤمنين التأسي بهم، إلى جانب قصص الاولياء وما تضمنته هي الاخرى من عبر ودروس، ومنها قصة أصحاب الكهف بصفتهم فتية آمنوا بربهم وساروا على نهج الانبياء فكانوا قدوة للمؤمنين، حيث بدت تجليات التوحيد ونبذ الشرك وسائر مظاهر الايمان الحق في ما قصه الله تبارك وتعالى من نبأهم.

### أولاً: أهمية البحث

تأتي أهمية البحث من ضرورة التعامل ببصيرة مع القصص القرآني بصفته أسلوباً سلساً في إيصال الحقائق الدينية كما وقعت ، لتكون حافزاً في محاكاة شخوصها من حيث حمل العقيدة والدفاع عنها في مقابل هجمات الاعداء وتشديد الضغوط على المؤمنين.

### ثانياً: أهداف البحث

التعرف على حقيقة مفهوم الايمان ومراتبه ودرجاته، فضلاً عن مظاهره ومعالمه لدى الثلة المؤمنة المتمثلة بأصحاب الكهف بصفتهم أسوة قرآنية تعرض القرآن لقصتهم بهدف محاكاتهم في العقيدة والإيمان.

### ثالثاً: مشكلة البحث

يحاول البحث الاجابة عن سؤال اساس هو: هل التصور العقلي يكفي في تحقيق الايمان؟ ويتفرع منه عدد من الاسئلة منها: هل يصمد المؤمن في بيئة مشرقة تهدد صميم هذا الإيمان؟ هل يمكن التعايش مع بيئة الشرك؟ هل من حاجة إلى الهجرة؟ هل هناك ضرورة للمبادرة الى جهاد ارباب الشرك في ظل عدم تكافؤ القوة وما يطلق عليه اليوم غياب توازن الردع بين حملة لواء التوحيد وارباب الشرك؟

### رابعاً: فرضية البحث:

ينطلق البحث من فرضية مضمونها ان الايمان يستوطن العقل والقلب ويستلزم العمل والاقدام، وقد لا يتاح للمؤمن التعبير عن إيمانه بحرية في بيئة الكفر والشرك؛ الأمر الذي يستدعي ضرورة الهجرة ويحتم المواجهة والتصدي لأرباب الشرك ، والثقة بالنصر والغلبة انكلاً على الله بغض النظر عن توفر أسباب القوة.

### خامساً: منهج البحث

اعتمد البحث المنهج الوصفي في عرض الآيات القرآنية الواردة بخصوص أصحاب الكهف، ومن ثم استنتجها على وفق المنهج التحليلي بهدف تغطية جوانب الموضوع

### سادساً: خطة البحث

انظم البحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة بتمهيد تناول مفهوم الايمان ومراتبه ومعالمه وثلاثة مباحث؛ تناول الأولى منها التوحيد ونبذ الشرك، والثاني المؤاخاة في الله والثقة بنصره، في حين خصص المبحث الثالث للأسوة الإيمانية.

### تمهيد: الإيمان ومراتبه

يقول الامام علي (ع) في إطار تعريفه للإيمان وقد سئل عنه فأجاب ((الايمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان))<sup>(1)</sup>، مشيراً إلى أن الموضوع الأساس للإيمان هو القلب وان الايمان يبدو لمظة في القلب ثم تكبير شيئاً فشيئاً<sup>(2)</sup>.

ومن هنا فرّق العلماء بين الإيمان بالعقل والايمان بالقلب، فهناك الكثير ممن يؤمنون بالله والآخرة، على حين يبدون ضعفاء في العمل والالتزام بالتعاليم الالهية، ((فالشیطان كما يشهد له الذات المقدسة كان يؤمن بالمبدأ والمعاد... ويسأل الله النظرة الى يوم البعث الذي يعني إيمانه بالمعاد ومع ذلك خاطبه الله بلفظ الكفر وأخرجه من زمرة المؤمنين))<sup>(3)</sup> ويفيد كل ذلك ضرورة استقرار هذا الايمان في القلب لينعكس على سلوك الانسان في طريقه إلى الله تعالى.

(1) نهج البلاغة: الحكمة 26.

(2) نهج البلاغة: الحكمة 132.

(3) الخميني الموسوي، الآداب المعنوية للصلاة، ص 40.

يقول أحد المفسرين المعاصرين<sup>(1)</sup>: إذا كان الايمان هو العلم بالشيء مع الالتزام به بحيث تترتب عليه اثاره العملية، وكان كل من العلم والالتزام مما يزداد وينقص ويشتد ويضعف، كان الايمان المؤلف منها قابلاً للزيادة والنقصان والشدة والضعف، فاختلاف المراتب وتفاوت الدرجات من الضروريات التي لا ينبغي أن يقع فيها اختلاف، هذا ما ذهب اليه الاكثر وهو الحق، ويدل عليه ماورد في القرآن بخصوص إنزال السكنينة لغرض الزيادة في الايمان<sup>(2)</sup>، وغيرها من الآيات كما ورد في أحاديث ائمة أهل البيت (ع) الدالة على ان الايمان ذو مراتب.

قال الامام الصادق (ع): ((الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التام المنتهي تمامه، ومنه الناقص البين نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه قلت: ان الايمان ليتم وينقص ويزيد؟ قال (ع) نعم قلت: من اين جاءت زيادته؟ فقال(ع) قول الله ((...أَيُّكُمْ رَآدَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا؟))<sup>(3)</sup> وقال ((إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى))<sup>(4)</sup>، ((ولو كان واحدا لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر ولاستوت النعم فيه ولا ستوى الناس وبطل التفضيل، ولكن بتمام الايمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الايمان، تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله وبالنقصان دخل المفرطون النار))<sup>(5)</sup>. وعلى هذا الضوء يفهم قوله تبارك وتعالى ((لِيَزِدْهُمْ ءِيمَانًا مَعَ ءِيمَانِهِمْ))<sup>(6)</sup> حيث ذكر صاحب التفسير الكبير بخصوص زيادة الايمان ان فيها وجوه أحدها: ((أمرهم بتكاليف شيئاً بعد شيء فأمنوا بكل واحد منها، مثلاً أمروا بالتوحيد فأمنوا وأطاعوا، ثم أمروا بالقتال فأمنوا وأطاعوا، فازدادوا إيماناً مع إيمانهم ثانياً: أنزل السكنينة عليهم فصبروا فأروا عين اليقين بما علموا من النصر علم اليقين إيماناً بالغيب فازدادوا إيماناً مستفاداً من الشهادة مع إيمانهم المستفاد من الغيب، ثالثاً: ازدادوا إيماناً استدلالياً مع إيمانهم الفطري))<sup>(7)</sup>.

ما تجدر الإشارة إليه إن هذا المضمون التفسيري ينطبق على إيمان أصحاب الكهف الذين قال فيهم القرآن الكريم ((إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى))<sup>(8)</sup> في إشارة الى ايمانهم المرضي عند الله كما سيتبين في البحث. وهنا لا بد من الإشارة إلى إن الايمان يستعمل تارة إسماً للشريعة التي جاء بها النبي الأكرم ﷺ كما يشير الى ذلك القرآن<sup>(9)</sup> وأخرى تطلق فيها صفة الايمان على كل من دخل هذه الشريعة مؤمناً بالله ونبوته، وأخرى يطلق على سبيل المدح والثناء ويراد به إذعان القلب للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل حسب ذلك بالجوارح، وأكمل الايمان أن يعمل حامله بموجب إيمانه ويؤثره على ميوله واهوائه ويتحمل المحن والصعاب من أجل لا شيء سوى طاعة الله<sup>(10)</sup>.

ونخلص مما تقدم ان الايمان يفوق مرحلة التصديق اللفظي والعمل إلى الالتزام التام بجوهر الشريعة على صعيد امتثال الاوامر والانتها عن النواهي بغية بلوغ حقيقة الايمان التي يتعذر إدراكها على الحس كونها ليست من الحقائق المادية، بل هي حقيقة روحية تدرك بالقلوب السليمة فتظهر آثارها على الاخلاق والسلوك، والتي تشتمل على مظاهر عدة تجسدت في ايمان اصحاب الكهف والتي ستناول أبرزها في المباحث الثلاث القادمة.

المبحث الاول: التوحيد ونبذ الشرك

(1) محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج18، ص259.

(2) الفتح:4.

(3) التوبة:124.

(4) الكهف:4.

(5) محمد بن يعقوب الكليني: أصول الكافي، ج2، ص33.

(6) الفتح:10.

(7) فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، 3:218.

(8) الكهف:13.

(9) الحج:17.

(10) الراغب الاصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص345

يحتل التوحيد مساحة كبيرة في دعوات الأنبياء كافة وإن كافة الأبحاث العقائدية تؤشر الى حقيقة واحدة هي التوحيد، وهكذا على صعيد ملكات الفضيلة والرياسة ، فالمعارف القرآنية كافة ومكارم الاخلاق والتشريعات والسنن الدينية سواء المتعلقة بالامور العبادية أو المعاملات، وكل ماله صلة بأفعال الانسان وتصرفاته تستند جميعا الى التوحيد ، وان الميزان في عد الطاعة كذلك هو مدى تقربها الانسان من التوحيد والعكس صحيح بالنسبة للمعصية<sup>(1)</sup>.

واستنادا إلى عظمة التوحيد الذي يمثل قطب الرحي في الشريعة الغراء يذهب العلامة الطباطبائي إلى أن القرآن يمنح الاولوية في الحقوق الى حق التوحيد فيراه مقدماً على كل حق آخر في النظام الاجتماعي، ويفيد ذلك ذلك أنه إذا كان هناك تضارب لهذا الحق مع حق الانسان في الحياة فان الظهور سيكون لحق التوحيد<sup>(2)</sup>.

وعلى هذا الاساس فان الشريعة الاسلامية حين تحرر الانسان من قيود الاستعباد بمختلف مجالاته وتسمو به على لذات الدنيا الزائلة انما تربطه بقيم السماء وحياتها ومثلها الخالدة، ذلك لأن التوحيد في الثقافة الاسلامية هو سند الإنسانية في تحررها الداخلي من كل العبوديات، كما انه سند التحرر الانساني في كل المجالات<sup>(3)</sup>.

وعلى هذا الضوء الذي يؤشر لأهمية التوحيد ندرك أبرز مظهر من مظاهر إيمان أصحاب الكهف حين صدعوا في قيامهم ونهضتهم التوحيدية الخالصة لله بالقول: ((رَبَّنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...))<sup>(4)</sup> حيث استهلوا كلامهم بأثبات توحيد الله تعالى مسندين ربوبية الجميع إلى الرب الواحد الذي لا شريك له ، في إشارة واضحة إلى إبطال ربوبية أرباب الاصنام والاوثان الذين يثبتون لكل نوع من أنواع الخليقة رباً، كرب الأرض ورب السماء ورب الرزق و... نفوا الالهة المعبودة من دون الله، واصفين ذلك بالشطط المجانب للدليل والبرهان.

يقول أحد المفسرين المعاصرين<sup>(5)</sup> ان القرآن الكريم كتاب علم ودليل وبرهان، فلا مسألة فيه بلا برهان، كما يرفض أي ادعاء من غير برهان، اذ لابد لكل دعوة من دليل عقلي أو نقلي، وحيث لم يكن التوحيد الربوبي مطروحاً بين الوثنيين، أي أنهم لم يكونوا معتقدين ان الله سبحانه هو رب الانسان، وان كل نفع وضرر، سلامة ومرض ، غنى وفقر، حياة وممات، نشاط وعناء كلها تدار بنظام إلهي والذي يديرها ويديرها جميعاً هو رب السموات والارض ((ولو فرض كثرة الارباب المديرين لأمر العالم، كما يقول به الوثنية، أدى ذلك إلى المحال من جهة أخرى وهي فساد النظام))<sup>(6)</sup> وهذا ما اثبتته القرآن بالبرهان (( أَأَرَبَابٌ مُتَّفَقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ))<sup>(7)</sup>، وكل هذا يكشف عن الحكمة التي كان يتمتع بها أصحاب الكهف حين نهضوا ليوجزوا في تلك الاجواء المرعبة حقيقة التوحيد الذي كانوا عليه وحملهم على الجهر به في محضر الطاغوت الحاكم الذي كان يعبد من دون الله تعالى.

ويواصل أصحاب الكهف نهضتهم التوحيدية بضرورة اللجوء إلى الكهف بعد اعتزال الجماعة المشركة<sup>(8)</sup>، إذ توصلوا بما كانوا عليه من حكمة وبصيرة ثاقبة الى إنعكاس كل سبل التكيف والانسجام مع تلك البيئة المثقلة بالشرك ولامفر امامهم سوى النجاة بدينهم وهجر الوطن والتخلي عن الدنيا ، فالتوحيد والعقيدة وولاية الله هي الوطن<sup>(9)</sup>. وهذه وظيفة المؤمن حين يتعذر عليه التعايش مع بيئة الشرك، في اللجوء الى الهجرة الى أي من بلاد الله التي يسعه فيها التعبير عن إيمانه وعبوديته مهما كانت المخاطر التي تتهدده، ذلك أن الوطن الحق هو العقيدة .

(1) الميزان: ج 1، ص 92-93.

(2) المصدر نفسه.

(3) محمد باقر الصدر: السنن التاريخية في القرآن الكريم، ص 37.

(4) الكهف: 17.

(5) ينظر: عبد الله جوادى الاملي، التفسير الموضوعي، الوحي والنبوة في القرآن، ص 40-41.

(6) محمد حسين الطباطبائي: نهاية الحكمة، الفصل السادس، ص 281.

(7) يوسف: 39.

(8) الكهف: 18.

(9) ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ج 4 ص 34.

ويتجلى كمال الايمان وإخلاص التوحيد لدى أصحاب الكهف كما يذكر صاحب تفسير التحرير والتنوير<sup>(1)</sup> في تفويضهم العلم إلى الله تعالى حين تحاوروا بشأن مدة لبثهم في الكهف وكأنهم الطهارة ايمانهم علموا بالإلهام من الله أن المدة متطاولة ولا بد من إرجاع ابهامها إلى الله ((قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ))<sup>2</sup> ويفهم من ذلك أن حقيقة العلم بكل شئ مختصة بالله تبارك وتعالى وليس للانسان الا ما يعلمه الله ويفيض عليه من العلم ، ولذلك أكلوا على ضوء رفعة إيمانهم الامر الى الله ، وكان الامر كذلك وعلى هذا الأساس...<sup>(3)</sup>.

ونخلص مما تقدم أن التوحيد ونبذ الشرك كان من أبرز معالم كمال الايمان الذي تحلى به أصحاب الكهف والذي كان من جملة الاسباب في نهضتهم بوجه تلك البيئة المشتركة التي تقول بتعدد الارباب والالهة. المبحث الثاني: المؤاخاة في الله والثقة بنصره

جعل الله تبارك وتعالى الأخوة مظهر من مظاهر الإيمان بحسب النصوص القرآنية التي عدتهم إخوة<sup>(4)</sup> تدخل هذه الاخوة في إطار الحقوق التي فرضها للأخ على أخيه، ذلك إن الإيمان وفق الرؤية القرآنية لحمة كحلمة النسب، وقد تواترت الاحاديث التي تؤكد على هذا المضمون (( أن المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشه، ولا يعده عدة فيخلفه))<sup>(5)</sup>. وقد اعتبر القرآن الكريم هذه الاخوة نعمة من نعم الله على المؤمنين بعد أن كانوا اعداء وقد من عليهم بنعمة الاسلام وانسجمت قلوبهم وتآلفت<sup>(6)</sup>، ولم تقتصر تلك الاخوة على المظاهر العاطفية والاحاسيس والمشاعر، بل امتدت لتشمل كل ما يترتب عليها من حقوق وواجبات متبادلة ، ناهيك عن تجسدها الحي في كل تصرفاتهم وسلوكياتهم .

وهنا نحاول أن نلمس هذه المؤاخاة كمظهر من المظاهر البارزة في إيمان أصحاب الكهف على ضوء ما نطقت به الآيات القرآنية الكريمة على لسانهم، حيث تفيد ذروة الحب والبغض في الله وكمال التأخي في العقيدة واعتماد المساواة فيما بينهم من دون ترجيح أحد على آخر، فضلا عن الحرص والاشفاق على بعضهم البعض ، فلم يكن هناك أي امر لأحد بالتوجه الى المدينة لغرض الاتيان بالطعام ، إلى جانب الوصية بالتلطف وابداء المرونة تجنباً للوقوع بأيدي الظلمة الذين كانا يسومون الموحدين الوان العذاب<sup>(7)</sup>.

المظهر الآخر الذي يؤشر لكمال إيمان أصحاب الكهف يكمن في الهجرة التي تعد من المفاهيم القرآنية الأساسية التي تناولتها العديد من الآيات القرآنية المباركة وفي سياقات متعددة، وقد تنوعت هذه الهجرة على الرغم من اشتراكها في مفارقة الأهل والولد والوطن والعشيرة .

هناك معنى خاص يتمثل في الهجرة من بلد إلى آخر، أو من أرض إلى أخرى يؤيد ذلك قوله تعالى ((الَّذِينَ تَكُنْ أَزْوَاجُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا))<sup>(8)</sup>، وأخص منه وهو المقصود الاصطلاحي للكلمة عند المسلمين وهو الانتقال من دار الكفر الى دار

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج8ص32

(2) الكهف:19.

(3) الزمخشري: الكشاف، ج2، ص633.

(4) الحجرات: 10

(5) محمد باقر المجلسي: بحار الانوار، ج45 ص321

(6) آل عمران: 103

(7) محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج6ص34

(8) النساء:97.

الإسلام<sup>(1)</sup> كما تأتي الهجرة بمعنى الترك والاعراض<sup>(2)</sup> ومنها قوله تعالى ((وَالْجُزْءَ فَأَهْجُرْ))<sup>(3)</sup> وقوله ((وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا...))<sup>(4)</sup>.

ولا بد من القول هنا أن أعظم أنواع الهجرة شأنًا تتمثل فيما قصه القرآن من هجرة الانبياء والولياء والدعاة الى الله على خلفية الايمان والعقيدة التي عانوا بسببها مختلف صنوف الابتلاء والاذى والاضطهاد، وهذه هي الهجرة التي تطالعنا بوضوح في قضية أصحاب الكهف كما يفهم من اعتزالهم القوم واللجوء إلى الكهف فهي هجرة إلى الله فرارا بالدين، ليظفروا بثناء الله على ايمانهم وتسميته بالايمان الحق بحسب ما يهدي اليه النص القرآني<sup>(5)</sup>.

والذي تجدر الإشارة اليه أن هجرة أصحاب الكهف جاءت بعد جهاد التبيين الذي تصدوا فيه لبيان معالم التوحيد والتخلي عن الشرك والتذكير بالمعاد وسوء العاقبة الذي ينتظر الظلمة سيما ممن افترى على الله الكذب، كما رافقت تلك الهجرة أروع مظهر من مظاهر الايمان الذي يتحمل بالثقة بالله والوعد بالنصر وهداية المجاهدين إلى سواء الصراط.

وقد وعد الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين الذين يؤثرون الهجرة بالهداية الى الصراط المستقيم ووصفهم بالاحسان كما تشير الى ذلك النصوص القرآنية<sup>(6)</sup>، ((أي الذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه ولنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة التي يوصل بها إلى رضى الله))<sup>(7)</sup>.

وعلى هذا الضوء نتلمس كمال إيمان أولياء الله أصحاب الكهف حين انقطعت حيلتهم إلى المبادرة إلى المسألة وأعييتهم الاسباب العادية فقيدوا الرحمة التي سألوها الله تعالى بان تكون من لدنه لتشملهم العناية الربانية والهداية الإلهية، فكان تسليط النوم عليهم، وقد تجلت في ايمانهم أعلى درجات البصيرة حين اطمئنوا الى انهم ان اعتزلوا بيئة الشرك وصدعوا بالتوحيد تلقوا منتهى اللطف والعناية الربانية التي تنجيهم مما هم عليه من الحيرة وظلم وتحكم الطغاة، فقالوا جازمين (( فَأَوْذًا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا ))<sup>(8)</sup>. ولم يقولوا عسى أن ينشر لكم ربكم أو لعل ربكم ينشر لكم من رحمته؛ الأمر الذي يكشف عن عظم اليقين بالله والثقة بنصره وتأنيده لعباده المؤمنين.

والذي يمكن أن نخلص إليه مما سبق أن أبرز مظاهر كمال ايمان أصحاب الكهف مؤاخاتهم في الدين ونصيحتهم وثقتهم على بعضهم البعض وهجرتهم الى الله التي كشفت عن عمق يقينهم وثقتهم بنصر الله وعظم عنايته وهدايته لعباده المؤمنين.

المبحث الثالث: الاسوة الإيمانية

أن الأسوة (القُدوة) منهج من المناهج القويمية، وأسلوب من الأساليب الناجعة في التربية، وقد دعا القرآن إلى هذا المنهج، فكان من الطبيعي ان تبادر أمة القرآن الكريم إلى التعرف على ملامح هذا المنهج الاصيل من خلال استنطاق الآيات القرآنية الواردة بهذا الخصوص والتعرف على تجربة أصحاب الكهف في ظل معرفة هذا المنهج.

ورد لفظ الاسوة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم:

- الموضع الاول: قوله تعالى ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...))<sup>(9)</sup>.  
الموضع الثاني: قوله تعالى ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ))<sup>(10)</sup>.  
الموضع الثالث: قوله تعالى ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...))<sup>(11)</sup>.

(1) عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي: التبصرة، ص75

(2) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج4 ص89

(3) المدثر:5.

(4) الفرقان:20.

(5) الانفال:74.

(6) العنكبوت:69.

(7) علي اكبر مهاجراني: جهاد النفس، ص67

(8) الكهف:8.

(9) الأحزاب:21.

(10) الممتحنة:4.

وان التأسي ((هو جعل حياة الاسوة معياراً وميزاناً لسلوك المتأسي وصفاته ويجعلها فرقاناً في حياته يميز به بين ما يصح فعله وما لا يصح فيسعى المتأسي أن يكون مثلاً ونسخة من الاسوة))<sup>(2)</sup>.

يبدو أن طبيعة الانسان بما هو إنسان تسوقه إلى اتخاذ أسوة في حياته سواء كان الاب أو الاخ أو المعلم أو الصديق أو أي رمز معين، ولذلك تعامل القرآن مع هذا المنهج كأمر ضروري وقضية مسلم بها فمبادر إلى ذكر المصاديق التي يمكن الاقتداء بها؛ مع العلم هناك أسوة حسنة صالحة لا بد من اتباعها، وأخرى سيئة طالحة لا بد من اجتنابها، وان الاسوة الحسنة - بحسب المنطق القرآني - لأولئك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر.

الذي تجدر الإشارة إليه بخصوص تفسير التأسي ((أن التأسي والاقتداء بالأسوة والقدوة ينبغي أن يكون فيما يمكن التأسي به من قبيل الاقوال والسلوك والآداب والأخلاق والمواقف، أما الصفات والفضائل والمناقب من قبيل النبوة والولاية والعصمة وعلم الغيب التي يختص بها النبي الأسوة فلا سبيل إليها في التأسي))<sup>(3)</sup>.

وعلى هذا الضوء نفهم ما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في إطار اشارته إلى ضرورة اعتماد المؤمن منهج الاسوة في أن لكل مأموم إماماً يتأسى به ويجعله قدوة له في سيرته العملية مشيراً إلى ضرورة التشبث بالورع والتقوى على قدر المستطاع بغية محاكاة الاسوة وان تعذر التماثل سيما بالنسبة للأولياء والأئمة عليهم السلام<sup>(4)</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم في العديد من الآيات إلى الاسوة الفرد المتمثل بالأنبياء كمحمد وإبراهيم ونوح وموسى وعيسى...، والاسوة الجماعة المتمثلة بقوم إبراهيم وأصحاب الكهف والاسوة المرأة المتمثلة بمريم وزوجة فرعون و...، والذي يهمننا في هذا البحث أصحاب الكهف كأسوة قرآنية إيمانية ينبغي للمؤمنين التأسي بها واقتفاء أثرها في الأمور التي يمكن التأسي بها، والتي يمكن إيجاز أبرزها في ما يلي:

كان أصحاب الكهف أسوة إيمانية في إخلاص العبودية لله وتوحيده ونبذ كافة مظاهر الشرك وعدم الركون إلى الظلمة، وان الانتماء الحقيقي للعقيدة فالإنسان إنسان ببعده المعنوي المستمد من نفخة الروح الالهية والتي جعلته خليفة الله في أرضه ، كون الانسان يتمتع بهذه المنزلة الشامخة والكرامة الرفيعة كانت الرابطة والوشيجة التي تتمحور حولها الانسانية هي الرابطة التي تترشح من تلك النفخة القدسية جمعاء بنفخة من روح الله وهو بهذا النفخة مستخلف في الأرض، ولأن الانسان بهذا القدر من الكرامة والسمو جعل الله الاصرة التي يتجمع عليها البشر هي الاصرة المستمدة من النفخة الالهية الكريمة، والمتمثلة بالعقيدة، فعقيدة المؤمن هي وطنه<sup>(5)</sup>؛ الأمر الذي دفع أصحاب الكهف إلى اعتزال القوم والبراءة منهم والهجرة إلى الله حين شعروا بان ثمة تهديدات ت طال عقيدتهم في التوحيد.

ومن هنا فأن المؤمن الحق مطالب بالتخلي عن الدنيا والتحرر من علائق المال والأهل والولد وشد رجال الهجرة إلى الله إذا ما شعر بأن هنالك خطراً على عقيدته وعبوديته لله تبارك وتعالى.

وكان أصحاب الكهف إسوة إيمانية في ولاية الله لهم وقد أخلصوا إيمانهم له تعالى وامتألت قلوبهم بمحبته تعالى، وان الله تعالى يتولى هو أمرهم، وقد تبين ذلك من سرد قصتهم وقد سلك بهم سبيل الكمال حيث ربط على قلوبهم وأفرغها من كل قلق واضطراب فصعدوا بأيانهم في أجواء تذوب منها القلوب وترتاع النفوس وتتشعر الجلود في ملأ معاند يسفك الدماء وعلنوا رفضهم للشرك معرضين أنفسهم لخطر عظيمه ايماناً بالله الذي أوامهم وزادهم هدى وبصيرة .

وكان أصحاب الكهف أسوة إيمانية قرآنية في التوكل على الله ليكونوا من مصاديق قول الله تعالى ((وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ))<sup>(6)</sup>، وقوله ((أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ))<sup>(7)</sup>، يقول أحد المفسرين ((بلى إن الله كاف عبده ومتولي ما قام بحق العبودية لله وحده فمن ذا الذي يخيفه وأنى له، اذا كان القوي القاهر معه))<sup>(1)</sup>.

(1) الممتحنة:6.

(2) محمد تقي ميرزائي: قراءات معاصرة للنص القرآني، ص56

(3) محمد تقي مصباح اليزدي: تجلي القرآن في نهج البلاغة، ص37

(4) نهج البلاغة:45.

(5) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص87

(6) الطلاق:3.

(7) الزمر:36.

وهذا ما ينبغي أن يتأسى به المؤمن إنه متى عاش عبودية الحق والتوكل عليه فليس هناك خشية من أحد، فكل قوي في جنب الله ضعيف، وكل عزيز في جنب الله ذليل، ومن كان الله معه أخاف الله منه كل شيء.

كما كان أصحاب الكهف أسوة إيمانية قرآنية للمؤمنين في الثقة بنصر الله مهما تجبر الشرك والباطل، ومهما امتلك من أسباب القوة، فالله غالب على أمره، وقد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه لو لم يملك من أسباب القوة إلا التضرع والدعاء، فقد سأل الله الهدى والرحمة واصابة الطريق المستقيم، فاستجاب لهم فأنامهم تلك المدة ثم بعثهم ليقنوا بوعده الله في نصره وان النصر محسوم للمؤمنين مها تطاول عنصر الزمان الذي لا يثبت باطلاً ولا يدحض حقاً فهناك إرادة الله التي تتولى إدارة الاسباب.

وهذا ما ينبغي أن يتأسى به المؤمنون ويدركوا بأن الحق والباطل في صراع، وان النصر في هذا الصراع من نصيب المؤمنين فلا مكان للمصادفة العمياء في هذا الوجود غير المتروك لقوانين آلية صماء عمياء، فهناك دائماً الإرادة المطلقة، فالأسباب والمقدمات قد تتبعها آثارها وقد لا تتبعها، والمقدمات التي يراها الناس حتمية قد تتبعها نتائجها وقد لا تتبعها ((لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أُمُراً<sup>(2)</sup>)).

ونخلص مما تقدم أن كمال إيمان أصحاب الكهف جعلهم أسوة قرآنية وثمة مواضع يمكن أن يتأسى بها المؤمنون في قصتهم، أبرزها إخلاص التوحيد والعبودية لله وتبذ الشرك والبراءة منه، والهجرة في سبيل الحفاظ على العقيدة، والدخول في ولاية الله وتوكيل الأمور إليه والثقة بالله في انجاز وعده بالنصر مها تغول الباطل وامتلك من أسباب المتعة والقوة، فان الحق في هذا الكون أصيل وقد كتب الله له النصر والغلبة على الباطل.

#### الخاتمة:

بعد هذه الجولة البحثية في تأمل الآيات القرآنية الواردة بخصوص أصحاب الكهف بصفتهم فتية بلغوا مرتبة عظيمة في الإيمان ، تم التوصل الى بعض الاستنتاجات التي يمكن إيجاز أبرزها في مايلي:

- 1- ان اصحاب الكهف ثلة من المؤمنين أخلصوا دينهم لله فاستخلصهم الله له وزادهم هدى وإيماناً.
- 2- ان الايمان مراتب، وقد بلغ أصحاب الكهف مرتبة من الايمان جعلت الحق تبارك وتعالى يثنى عليهم ويرتضي لهم ذلك الايمان.
- 3- كان لإيمان أصحاب الكهف مظاهر عدة، أبرزها التوحيد الخالص الخالي من الشرك والهجرة إلى الله حرصاً على سلامة العقيدة، والتوجه الخالص الى الله بإنزال الصبر والنصر والهداية ، بعد انقطاع كافة الاسباب الموضوعية المؤدية الى ذلك.
- 4- ان حقيقة إيمان أصحاب الكهف وإخلاصهم في العبودية وانقطاعهم الى الله والتوكل عليه والبصيرة التي كانوا عليها في الايمان بالنصر. جعلت منهم أسوة قرآنية يتأسى بهم المؤمنون إلى يوم القيامة.
- 5- على المؤمن أن يجعل العقيدة هي المال والولد والوطن ، وإذا ما تعرضت هذه العقيدة الى الخطر بادر إلى الهجرة وتخلي عن كافة القيود التي تحول دون تلك العقيدة.

(1) الطبري: مصدر سابق، ج 8 ص 43

(2) الطلاق: 1.

قائمة المصادر:

• خير ما نبتدى به القرآن الكريم

• نهج البلاغة

1. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، 1986، التبصرة والتذكرة، دار الكتب العلمية
2. ابن عاشور، مجد الطاهر، 1987، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر
3. ابن كثير، اسماعيل بن عمر، 1998، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية
4. الأملي عبدالله جوادي، 2006، التفسير الموضوعي، الوحي والنبوة في القرآن، دار اسراء
5. الاصفهاني، ابوالقاسم الحسين بن محمد (الراغب الاصفهاني)، 2001، المفردات في غريب القرآن، دار القلم
6. الريشهري محمد، 1991، ميزان الحكمة، دار الحديث
7. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، 2007، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهادي
8. الزمخشري، ابوالقاسم محمود بن عمر، 2001، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الاقوال في وجوه التاويل، دار احياء التراث العربي
9. الصدر، محمد باقر، 2005، السنن التاريخية في القرآن الكريم، دار التعارف للطباعة والنشر
10. الطباطبائي، محمد حسين، 2006، الميزان في تفسير القرآن، تحقيق: أياد باقر سلمان، دار احياء التراث العربي
11. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، 1980، جامع البيان في تاويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع
12. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الانصاري، 1987، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية
13. الكاشاني، محمد محسن الفيض، 2000، تفسير الصافي، طهران، منشورات مكتبة الصدر
14. الكليني، محمد بن يعقوب، 2006، اصول الكافي، دار الكتاب العربي
15. الخميني، روح الله، 1985، الآداب المعنوية للصلاة، دار نشر آثار الامام الخميني
16. الشاذلي، ابراهيم حسين، 2006، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق
17. المشهدي، محمد بن محمد رضا، 2002، كنز الدقائق وبحر الغرائب، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي
18. المظاهري، حسين علي، 2001، جهاد النفس، تعريب خليل عصامي، مكتب الاعلام الاسلامي
19. المهاجراني، علي اكبر، 2006، جهاد النفس، مكتب الاعلام الاسلامي
20. اليزدي، محمد تقي مصباح، 1428هـ، تجلي القرآن في نهج البلاغة، مؤسسة الحق
21. ميرزائي، محمد تقي، 2008، قراءات معاصرة للنص القرآني، مركز الحضارة للفكر الإسلامي.

Bibliography:

• The best place to start is the Holy Qur'an

• Nahj al-Balaghah

1. Ibn al-Jawzi, 'Abd al-Rahman ibn 'Ali, 1986, Al-Tabsira wa al-Tadhkira, Dar al-Kutub al-'Ilmiya
2. Ibn 'Ashur, Muhammad al-Tahir, 1987, Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir, Dar al-Tunisiya li-l-Nashr
3. Ibn Kathir, Isma'il ibn 'Umar, 1998, Tafsir al-Qur'an al-'Azim, Dar al-Kutub al-'Ilmiyah
4. Al-Amli, 'Abdullah Jawadi, 2006, Al-Tafsir al-Mawdu'i: Al-Wahy wa al-Nubuwwah fi al-Qur'an, Dar Isra'
5. Al-Asfahani, Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad (Al-Raghib al-Asfahani), 2001, Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an, Dar al-Qalam
6. Al-Rishahri, Muhammad, 1991, Mizan al-Hikma, Dar al-Hadith
7. Al-Zubaidi, Muhammad Murtaza al-Husayni, 2007, \*Taj al-'Arus min Jawhar al-Qamus\*, Dar al-Hadi
8. Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud ibn 'Umar, 2001, \*Al-Kashshaf 'an Haqa'iq al-Tanzil wa 'Ayun al-Aqawil fi Wujuh al-Tawil\*, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi

9. Al-Sadr, Muhammad Baqir, 2005, \*Historical Traditions in the Holy Qur'an\*, Dar al-Ta'aruf for Printing and Publishing
10. Al-Tabatabai, Muhammad Husayn, 2006, \*Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an\*, edited by Ayyad Baqir Salman, Dar Ihya al-Turath al-Arabi
11. Al-Tabari, Abu Ja'far Muhammad ibn Jarir, 1980, \*Jami' al-Bayan fi Tawil Ayat al-Qur'an\*, Dar Hijr for Printing, Publishing and Distribution
12. Al-Qurtubi, Abu 'Abdullah Muhammad ibn Ahmad al-Ansari, 1987, Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an, Dar al-Kutub al-Misriyya
13. Al-Kashani, Muhammad Muhsin al-Fayyad, 2000, Tafsir al-Safi, Tehran, Maktabat al-Sadr Publications
14. Al-Kulayni, Muhammad ibn Ya'qub, 2006, \*Usul al-Kafi\*, Dar al-Kitab al-Arabi
15. Khomeini, Ruhollah, 1985, \*The Spiritual Etiquette of Prayer\*, Dar Nashr Athar al-Imam al-Khomeini
16. Al-Shadhili, Ibrahim Hussein, 2006, \*Artistic Imagery in the Qur'an\*, Dar al-Shorouk
17. Al-Mashhadi, Muhammad ibn Muhammad Rida, 2002, \*Kanz al-Daqaiq wa Bahar al-Gharaib\*, Ministry of Culture and Islamic Guidance
18. Al-Muzahiri, Husayn Ali, 2001, \*Jihad of the Self\*, translated by Khalil Asami, Islamic Media Office
19. Al-Muhajirani, Ali Akbar, 2006, \*Jihad of the Self\*, Islamic Media Office
20. Al-Yazdi, Muhammad Taqi Musbah, 1428 AH, \*The Manifestation of the Qur'an in Nahj al-Balaghah\*, Al-Haqq Foundation
21. Mirza'i, Muhammad Taqi, 2008, \*Contemporary Readings of the Qur'anic Text\*, Al-Hadara Centre for Islamic Thought.